تعريب العلوم

بين العَوْلمة والعَوْربة

. محمد عبيد الله * .

ارتبطتْ قضيةُ التعريب باتّصال العرب بالغرب منذ «عصر النهضة الحديثة،» أيْ منذ القرن التاسع عشر. وجوهرُ القضية ينطوي على الإقرار بأنّنا لا نُنْتج العلمَ الحديثَ، ولا نساهم في إبداعه، لكنّنا نحتاجون إليه بالضرورة. غير أنّنا نختلف على سُبُل الإفادة منه. أنقدِّمُ العلومَ بلغةٍ أجنبية، أمْ نَعْملُ على تعريبها؟

وطوالَ عقود مَضَتْ، ظلّت قضيةُ التعريب بيْنَ مدٍّ وجَزْر. ومن الواضح أننا حتى الساعة لم نصلْ فيها إلى قرار، ولا قَطَعْنا فيها أشواطًا واضحةً، باستثناء بعض التجارب المضيئة في هذا القطر أو ذاك، وأكثرُها تجاربُ فرديةٌ مردُّها إلى جهود بعض العلماء والغيورين الذين ما زالوا يواجهون الصعابَ في سبيل تحقيق أهدافهم وخدمةِ أمّتهم.

ومع أنّ عددًا من المجامع اللغوية العربية قد تأسستْ، إضافةً إلى عدد من المؤسسات والجمعيات والهيئات ذاتِ الاختصاص بالتعريب والترجمة، فإنّ المشكلة ما تزال مطروحةً. بل يُمْكننا القولُ إنّ السنوات الأخيرة لا تبشِّر بخير. وبدلاً من التقدّم في مشوار التعريب نجد مُحْبِطاتٍ ومثبِّطاتٍ تجرُّنا إلى الوراء: فبدلاً من التراكم التعريبي والإفادةِ ممّا أُنجِزَ من قبلُ، يتراجع الاهتمامُ بالتعريب. كأنّ إتمام الطريق ليس ممكنًا، أو كأنّ مَنْ سلكوه لم يكونوا على حقٍّ في تفضيلِ لغتهم لتكون لغةَ العلم الحديث.

ولقد مرّت عقودٌ صَعِدتْ فيها الفكرةُ القوميةُ، وشهدتْ قضيةُ التعريب تطوُّرًا واسعًا أثناءها. وها نحن اليوم نجابهُ متغيِّراتٍ دوليةً، جوهرُها انتصارُ القطب الواحد، مثلما نَدْخل مُجْبَرين حقبةَ العولمة بكلّ ما تنطوي عليه من إلغاءٍ للخصوصيات والهويات. إنّها، كما أفهمها ويَفْهمها غيري، تعميمُ كلِّ ما هو أميركيٌّ لغةً وعلومًا ومنتجاتٍ، وتحويلُ العالم إلى سوقٍ وسلّةِ استهلاك.

وللعولمة أذرعُها المتعددة: الشركاتُ العابرةُ للقارات، والسيطرةُ على وسائل الاتصال وعلى الفضاء المشبَّك بالأقمار الصناعية، ونشرُ الإنكليزية في العالم كلغةٍ عالميةٍ وعلميةٍ وثقافيةٍ مهيمنة. وإذا كنّا لا نستطيع أن نَرْفض العولمةَ صراحةً، فإنّنا محتاجون إلى التعايش معها، وإلى مواجهتها من داخلها، عبر مفهوم «العَوْربة،» لتأسيس عولمةٍ مضادّة. فنحن إذ نتحدث عن تعريب العلوم، وعوربةِ العلم الحديث، إنما نتحدث عن موقعنا المفترض في العالم، وعن كيفية حمايةِ هويتنا، والذودِ عن وجودنا. ذلك أنّنا لا نعادي أحدًا، ولا نَرْفض العلم، غير أنّ دفاعَ الكائن ـ أيّ كائن ـ عن ذاته وحضارته أمرٌ مشروعٌ في كلّ زمان ومكان.

وطوال عقود، مرّت قضيةُ التعريب بكثير من التساؤلات الحادّة. ويلخِّص د. عبد الكريم خليفة، رئيسُ مجمع اللغة العربية الأردني، تلك التساؤلاتِ وموقفَه منها فيقول:

«هل تستطيع اللغةُ العربيةُ أن تستوعب العلمَ الحديث؟ هل تستطيع أن تكون لغةَ البحث العلمي، ولغةَ التعليم الجامعي؟ وهل وهل.. وهل..؟ هذه التساؤلات قد أُثيرتْ، وأَثبتتْ مؤتمراتُ التعريب أنّ هذه القضية، على أهميتها، ليست هي القضيةَ الأولى بل القضيةُ الأولى في تعريب التعليم الجامعي تكاد تنحصر في وجوب جعل اللغة العربية لغةَ البحث العلمي. هذه قضية سياسية، في المشرق العربي، كما هي في المغرب العربي، حيث تُفْرَض الفرنسيةُ والإنكليزيةُ في جامعاتنا، بل في جامعات الجزيرة العربية، مهدِ العروبة والإسلام، وفي الأزهر الشريف، حيث يدرَّسُ بالإنكليزية كثيرٌ من العلوم. كلُّ هذا يجري في وقتنا الحاضر، وأيُّ وقت هذا؟! إنّه الوقت الذي نجد فيه أممًا ليس للغاتها مثلُ تاريخ اللغة العربية؛ وعلى سبيل المثال نَذْكر بلغاريا، وبولونيا، وفنلندا، وتركيا، وإيران،

* ـ أستاذ في جامعة فيلادلفيا، الأردن

. محمد عبيد الله .

حركة التعريب تمشي مشيَ السلحفاة، والجهود مبعثرة، ولا ينتفع المتأخِّرُ من جهة المتقدِّم.

وغيرَها من دول الشرق والغرب. فهذه الدول، جميعُها، تدرِّس بلغاتها القومية، لأنّها أدركتْ أنّها لن تستطيع أن تصلَ إلى المشاركة الأصيلة في بناء الحضارة العالمية إلاّ من خلال لغاتها. فما بالُ الأمر يختلف عندما نتوجَّه إلى اللغة العربية، وقد مرّت بتجربة غنية. .؟ فقد كانت لغةَ العلم والفلسفة والفكر قرونًا عديدةً. ومع ذلك، فمنذ قيل لنا إنّ دولنا قد استقلّت، ونحن نبحث هل تستطيع اللغةُ العربيةُ أن تكون لغةَ البحث العلمي، ولغةَ التقنيات الحديثة؟»[1]

ما قاله د. خليفة عامَ ١٩٨٣ يجد تأكيدًا وتوثيقًا له في كثير من مؤتمرات التعريب وآراء المهتمين. ولقد أُجْهضتْ تجاربُ التعريب في عدد كبير من الأقطار التي انطلقتْ فيها، بما يُشْبه القرارَ السياسي، ودون أسبابٍ موجبة. وهذا يؤكِّد مجدَّدًا أنّ قضية التعريب ليست مشكلةً علميةً ولا لغويةً، وإنما هي أعقدُ من ذلك بكثير.

ولكنْ ما هي خطورةُ التعريب؟ ولماذا تَعْمل جهاتٌ كثيرةٌ خارجية وداخلية على إجهاض تلك التجارب؟ نَحْسب أنّ التعريب قرارٌ سياديّ: فالإيمان به، قولاً وعملاً، هو انتقالٌ من طور الاستهلاك إلى طور الإنتاج. ومن المؤكَّد أنّ النجاح في ذلك مؤشِّرٌ على مستوًى متقدِّمٍ من الوعي بالهوية العربية، وتحوُّلٌ بالعرب من تابعين إلى مبدعين، وما ينطوي عليه ذلك من تأثيراتٍ تنمويةٍ بالغةِ الأهمية: فبالتعريب يَخْرج العلمُ واضحًا مبسَّطًا من أسوار الجامعات إلى **الإنسان** العربي حيثما كان، وكيفما كانت ثقافتُه ومستواه العلمي، سواء أَعَرَفَ لغةً أجنبيةً أَمْ لم يَعْرفْ وبقاءُ العلم باللغة الأجنبية هو حصرٌ له في طبقةٍ قليلةِ العدد، مستهلِكةٍ في الأساس لا منتِجةٍ. ومن المؤكَّد أنّ المدافعين عن التعليم باللغات الأجنبية لا يَنْتبهون إلى أنّ إصرارهم ضدُّ أُمّتهم، وضدُّ إيصال العلم إليها، في الوقت الذي يتوهَّمون فيه أنّ التعليم بغير العربية هو السبيلُ نحو آفاق الحضارة والمدنية!

اللغة العربية لغةٌ حيةٌ تنطوي على سماتٍ حيوية. ولمجرد التمثيل على ذلك نلخِّص هنا رأيًا للدكتور نبيل علي، وهو من أهل العِلْم والتقانة، لا من أهل اللغة. ورأيه يهمُّنا لأنّه يُبْرز خصائصَ العربية من منظورٍ حاسوبيّ، أيْ من ناحيةِ إمكانية التعامل معها بمنظور علميّ يهمُّنا في مشكلة التعريب وقضايا الحوسبة، كي ننتقل بها إلى مستوًى جديدٍ من النظر والتفاعل. والخصائص التي تتميز بها من منظورٍ حاسوبيٍّ هي التالية: التوسّط اللغوي؛ حدّة الخاصّية الصَّرْفية؛ المرونة النحوية؛ الانتظام الصوتي؛ ظاهرة الإعراب؛ الحساسية السياقية؛ تعدّد طرق الكتابة؛ ثراء المعجم واعتماده على الجذور؛ شدة التماسك بين عناصر المنظومة اللغوية.[2] وقد أشار علي إلى هذه الخصائص في سياقِ هدفٍ طموحٍ هو «تعريبُ تقنيات المعلومات» ليس على مستوى تعريب مراجعه ومصادره، وإنما على مستوى دخول مضمار هذا الحقل ببرمجياتٍ عربيةٍ. وبالرغم من ظهور عدد من المؤسسات العربية العاملة في مجال تقنيات المعلومات والحوسبة المعرَّبة، فما زال الطريقُ طويلاً لتعريب هذا الحقل، لا بمعنى تعريب الكتب والمراجع، وإنما بمعنى بناء برمجيات تطبيقية تراعي أحوالَ العربية وأنظمتَها

المصطلحات العلمية

لعلّ أبرزَ مشكلٍ في قضية التعريب هو توليدُ مصطلحات علمية مقابِلة للمصطلح الأجنبي. وقد استطاعت الجهودُ المخلصة للمعرِّبين وللمجامع اللغوية تطويرَ إجراءات تمكِّن من توليد المصطلح بما يتواءم مع طبائع العربية وأنظمتها. ولعلّ من أبرز تلك الإجراءات الاتفاقَ على الاستفادة من المصطلحات

١ ـ د عبد الكريم خليفة، **الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة العربية الأردني** (عمّان: منشورات مجمع اللغة العربية، ١٩٨٣)، ص ١١ ـ ١٢

٢ ـ د نبيل علي، **العرب وعصر المعلومات** (الكويت عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، إبريل ١٩٩٤)، ص ٣٥١ وما بعدها

من الذي يَمْلك مجموعة المصطلحات التي أقرّها مجمعُ اللغة العربية؟[1]

العلمية العربية الأصيلة بمراجعةِ التراث العلمي عند العرب، وفهرسةِ ما ينطوي عليه من مصطلحاتٍ دالةٍ ونافعة وهذه خطوة تحتاج إلى استكمال. فحتى اليوم ما يزال نشرُ الكتب العلمية التراثية يعاني النقصَ والندرة، ولم يجرِ رصدٌ كاملٌ ولا كافٍ للمصطلحات العلمية العربية وتنظيمِها في معجماتٍ خاصةٍ تمهيدًا لتعميمِها والانتفاع بها.

وإضافةً إلى الانتفاع بالتراث، قَطَعَ روّادُ التعريب شوطًا صالحًا في الإفادة من بعض إمكانات العربية: كالاشتقاق، والنحت، والتعريب الاقتراضي، ومعالجة مشكلات السوابق واللواحق. وبالإمكان التوثُّقُ من دقّة إجراءات التعريب بالعودة إلى قرارات وتوصيات المجامع اللغوية، ومؤتمرات التعريب[1] ـ وهي في نظرنا إجراءاتٌ ومبادئُ دقيقةٌ تشكّل قاعدةً مضبوطةً، لكنّها تظلّ أقربَ إلى الإطار النظري التمهيدي ما لم تَتْبعها المراحلُ الأهمُّ: ألا وهي تطبيقُ هذه الإجراءات، وتنفيذُ التوصيات بتعريب المصطلح العلمي تمهيدًا لتعريب لغة العلم.

لقد بُذلتْ جهودٌ كثيرةٌ في سبيل إنجاز بعض مراحل تعريب المصطلحات العلمية في فروع مختلفة من العلم الحديث، ووُضعتْ بعضُ المعجمات لكنّنا نستطيع أن نقول بوضوح إنّ الجهود المبذولة، على قَدْر ما نكنّ لها من تقدير وإكبار، ليست كافيةً، ولا قريبةً من الحدود الدنيا من النجاح. فالمصطلحات تتوالد كلَّ يوم بسرعة مذهلة انعكاسًا لتطور العلم نفسه، وأما حركةُ التعريب فتمشي مشيَ السلحفاة. ولا ينتفع المتأخِّرُ من جهد المتقدِّم وفي كلّ بلد عربي، بل في البلد الواحد، نحسّ أنّ الجهود مبعثرةٌ، ولا خطة شاملة تنتظمها.

ويبدو ما قاله د. شكري فيصل عام ١٩٨٣ ماثلاً. فقد رأى أنّ الجهود العربية في هذا المجال «تعاني نقيضيْن كبيريْن، أحدُهما أنّها غيرُ معروفة ولا مبذولة بقدْر الحاجة إليها في الوطن العربي. والآخر إنها غيرُ منسّقة بقَدْر ما تحتاج إليه من تنسيق بين قدراتٍ غنيةٍ متباعدةٍ في البلاد العربية وفوق هذا أو ذاك، فهي تحتاج إلى قرار سياسي يحطِّم العقباتِ الواقعيةَ وحالاتِ التردد وصعوباتِ التغيير.» ويضيف فيصل: «عن النقص الأول يمكن الإنسانَ أن يتساءل: مَن الذي يَمْلك مجموعةَ المصطلحات التي أقرَّها مجمعُ اللغة العربية في القاهرة أو محاضرَ جلساتها؟ وعن النقص الثاني: ما هو مدى التنسيق بين المجامع اللغوية، وما هي خطواتُ هذا التنسيق؟ ثم مَنْ يقول الكلمة الأخيرة ويحقّ له ادعاؤها؟ وأخيرًا، من الذي يأخذ بهذا التنسيق، أو ما هي السلطة اللغوية القادرة؟»[2]

ومع ذلك فإنّنا نشير إلى ما عَمَدَ إليه مجمعُ اللغة العربية في القاهرة في المدة الأخيرة من تعميم مصطلحاته وقراراته على الشبكة العالمية (الإنترنت) فوَضَع مدخلاً للبحث في المعاجم المختلفة، ومنها **معجمُ المصطلحات العلمية**، و**معجمُ قرارات المجمع** لكنّ الأول محتاجٌ إلى تنظيم ألفاظ المداخل وتوزيعها وفق موضوع التخصّص أو العلم. ويُعْلمنا موقعُ المجمع على الشبكة العالمية بأنّ عدد المصطلحات التي تجمّعتْ لدى المجمع قد بلغتْ أكثرَ من مئة وخمسين ألف مصطلح علمي. وقد أَصْدر المجمعُ من هذه المصطلحات معجماتٍ علميةً متخصِّصةً، عددُها سبعة عشر معجمًا، تتناول ميادين الجيولوجيا والكيمياء والقانون والموسيقا والفيزياء والرياضيات وغير ذلك.[3]

---

١ ـ يُنْظر «قرارات ندوة اتحاد المجامع اللغوية في دمشق،» مجلة **مجمع اللغة العربية** بدمشق، ج ٤، مجلد ٧٥، تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٠، ص ١٠٣٨. أحمد شفيق الخطيب، المرجع نفسه، الجزء الثالث، تموز (يوليو) ٢٠٠٠، ص ٤٩٧ وما بعدها

٢ ـ د. شكري فيصل، «قضايا اللغة العربية المعاصرة،» **المجلة العربية للدراسات اللغوية**، المجلد ٢، ع١، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية.

٣ ـ يُنْظر موقعُ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، موضوع: «الإنجازات،» وعنوان الموقع www.arabicacademy.org

. محمد عبيد الله .

سائر الأمم تدرِّس العلمَ بلغاتها، بل إنّ اللغة العبرية تُستخدم لغةً للعلم في جامعات الكيان الصهيوني.

إنّها جهودٌ تستحقّ كلَّ تقدير وإجلال. لكنّ السؤال المؤلم هو: مَنْ يَنْتفع بها؟ وكم جامعةً عربيةً تلتزم بما أُقِرَّ من مصطلحات؟ فالسلطة اللغوية غائبة، والمرجعية مغيَّبة. ولكلّ ذلك تتضاعف الشكوى من فوضى المصطلح؛ وهو ما يزيد الأمرَ التباسًا وضبابًا، ويهيِّئ لمعارضي التعريب فرصةَ الشماتة واختلاقِ الحجج بدعوى «مواكبة العلم وتجنُّب الأمور المشتبهات »

ثم إنّ القُطْرية العربية على المستوى السياسي تَنْتقل للأسف إلى مختلف المستويات الأخرى. واتحادُ المجامع العربية لا يبدو صاحبَ سلطةٍ عليا. ومكتبُ تنسيق التعريب، التابعُ للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، هَرِمَ وشَبِعَ غيابًا، وكأنّ الشللَ الذي تعانيه الجامعةُ العربيةُ قد انتقل إليه، بعد أن بدأ جهودًا كان يُمْكن أن تثمر. فقد عَقَدَ مؤتمرات، واتّخذ قراراتٍ وتوصياتٍ بارزةً، وأصدر مجلةً هامةً اسمُها **اللسان العربي** ظهرتْ فيها دراساتٌ تشير إلى قدرات العربية على حمل أمانة العلم الحديث.

التعريب ليس شعاراتٍ تُرفع، وليس ألفاظًا تدغدغ العواطفَ وتثير الرغبات. فبعد عشرات السنوات من التجربة لا يُمْكن أن نبدأ المشوارَ من أوله، ولا يُعقل أن نظلّ عند أسئلة من قبيل: هل التعريب مشروع؟ وهل هو ممكن؟ وهل يتناسب مع سرعة تطور العلم؟ ذلك أنّ التعريب عملٌ مستمرٌّ، وهو يحتاج قناعاتٍ متعاضدةً، تؤْمن بالأمة وتجدِّد الثقةَ بأبنائها وبجامعاتها ومؤسساتها. وهو ليس حالةَ حَرَدٍ وارتدادٍ عن العلم الحديث، وإنما هو مرحلةٌ متقدِّمةٌ كثيرًا على التعليم باللغات الأجنبية. إنّه يعني مضاعفةَ الترجمة العلمية، وتكوينَ طوائفَ من العلماء المتخصِّصين الذين يكونون جسورَ تواصلٍ بين أمتهم والأمم الأخرى، بين لغتهم واللغات الأخرى. وكل هذا يُفْضي بنا إلى استنبات العلم في البيئة العربية. وبكلمة، إنّ التعريب هو أُولى الخطوات نحو «تَبْيِئة العلم» وعوربته، للتحوُّل من عجز المستهلِك إلى إبداع المنتِج.

ولكلّ ذلك فإنّ التعريب لا يَنْجح بجهود اللغويين ولا المؤمنين بالعربية وقدراتها وحدهم، وإنما هو محتاجٌ أيضًا إلى إيمان المتخصِّصين بالعلم الحديث نفسه. فلكي ينجح التعريبُ فلا بدّ أن يصبح نهجًا جوهريًا في جامعاتنا ومؤسساتنا، ولا بدّ أن يؤمن به الأساتذةُ والعلماءُ ممن يصرُّون إلى اليوم ـ عنادًا أو كسلاً أو جهلاً أو وهمًا ـ على أنْ يعلِّموا بغير لغتهم، فيَحْرموها من التطور، ويحرموا الأجيالَ الجديدةَ من لذة اللغة ولذة العلم معًا.. بل إنّهم يَحْرمون المجتمعَ كلَّه من أن يُفيد مِنْ علمهم ومعرفتهم، فتتّسعَ الهوّةُ بين فئةٍ متعلِّمةٍ صغيرةٍ والسوادِ الأعظمِ من أبناء الأمة العربية.

في حقبة المدّ القومي، كان التعريبُ خيارًا كبيرًا لاستنبات العلم الحديث باللغة العربية. وكان الحماسُ للتعريب ساطعًا، ليس من الفريق المختصّ بالعربية فحسب، وإنما أيضًا من علماء متخصِّصين في العلم الحديث نفسه، وخاصةً في أقطار عربية معيّنة (كالعراق وسوريا) وكان للتجربة كثيرٌ من فرص النجاح. والاستمرارُ فيها يبدو مرتبطًا بالخيارات القومية والسياسية للأقطار العربية التي تبنَّتْ خيارَ التعريب، وليس ضربًا من الوهم أن نَرْبط ما تعرَّض له العراقُ، وتتعرّض له سوريا، بهذه الخيارات.

لقد بدأ تعريبُ الطبّ في سوريا في جامعة دمشق منذ عام ١٩١٩، ويتواصل حتى اليوم. ووقف الأطبّاءُ السوريون في طليعة المتخصِّصين المتميِّزين، وكثيرٌ منهم أكْمل دراساتِه العليا بالإنجليزية بتفوُّقٍ ونجاح وكما جاء في موقع مجلة الطلاّب السوريين على شبكة الإنترنت، «فإنّ الكثير من الطلاب السوريين يُثْبتون نجاحَهم وتفوُّقَهم حين ينتقلون إلى الخارج للاختصاص. وتُثْبت إحصاءاتٌ ودراساتٌ أُجريتْ بهذا الخصوص أنّ الخرّيجين السوريين يتابعون دراستَهم في الولايات المتحدة بقدْرةٍ لا تقلّ إطلاقًا عن قدرة الطلاّب العرب الذين دَرَسوا

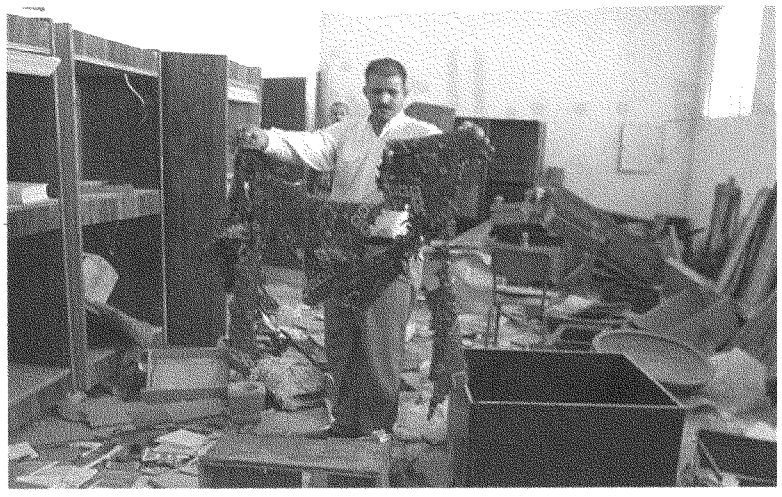

ليس وهمًا الربطُ بين ما تعرَّض له العراق، وخيارات التعريب فيه[1] (صورة المتحف الوطني العراقي)

الطبَّ بلغات أجنبية في بلادهم.» ووفق المصدر نفسه،

«فإنّ مسحًا أجراه المجلسُ الصحّي الأميركي الدولي AIHC بين الطلاّب المتخرِّجين من الجامعات السورية والذين يَعْملون أو يدرسون حاليّاً في الولايات المتحدة أَظْهَرَ أنّ ٣٢/ من هؤلاء الطلاّب اعتَبَروا أنّ انتقالهم إلى دراسة الإنكليزية والتحضير للامتحانات الأمريكية كان سهلاً، بينما اعتبره ٢٤/ صعبًا، و ٤٤/ صعبًا بعضَ الشيء. وكانت أغلبُ الصعوبات، حسب الدراسة، متعلّقةً باللغة، وليس بالمصطلحات العلمية، ممّا يشير إلى إمكانية تجاوز هذه المشكلة بتحسين تعليم اللغة في المرحلة الجامعية وما قبل الجامعية وقد سُئِلَ المشاركون في هذا المسح عن رأيهم في التجربة السورية في تعريب الطبّ، فكانت النتيجة أنّ معظمهم يرونْ أنّ هذه التجربة يمكن أن تنجح كما أنّ معظمهم اتفقوا على أنّ التدريس بالعربية هو ضرورة علمية وثقافية »[1]

نقاط مركزية

ويمكننا إبرازُ المبادئ التالية كنقاطٍ مركزيةٍ في قضية التعريب راهنًا:

• قضية التعريب قضيةٌ حضاريةٌ سياسية، والنجاح فيها يتعلّق بمكانة الحضارة العربية وتفاعلها مع العالم المعاصر ومع الغرب بشكلٍ خاصّ

• حَسمت المجامعُ اللغويةُ العربية الجدلَ في صلاحية العربية لغةً للعلم، ووَضعتْ مختلفَ القواعد العلمية للتعريب. ويمكن اعتمادُ تلك المبادئ والإجراءات قاعدةً يُنتَفَعُ بها في كلّ محاولة لاحقة.

• لأنّ الحضارة العربية كانت حضارةَ العلم في الماضي، فإنّ مشكلة التعريب عولجتْ وفق أسسٍ علميةٍ جعلتِ العربيةَ تَسْتوعب الإرثَ العلميَّ اليونانيَّ والسريانيَّ والفارسيَّ وتضيف إليه وباستعارة هذه التجربة من الماضي، نجد الفرقَ ماثلاً في مقابلة الانتصار بالهزيمة فاللغة ليست عنصرًا خارجيّاً، بل جزءٌ من الأمة نفسها: فالأمة المنتصرة تنتصر لغتُها، والأمةُ المهزومة قد تتعرّض لغتُها للهزيمة. لكنْ، ألا يمكن أن نفكّر في أن تكون اللغةُ أحدَ عوامل **الانتصار** في ظلّ تعدّدِ الهزائم؟

• نحن محتاجون إلى علماء متخصِّصين في العلم الحديث، وفي الوقت نفسه يَعْرفون لغتَهم ويقدِّرونها. فهؤلاء العلماء هم أقدرُ الناس على العمل كوسطاء بيننا وبين العالم. ذلك أنّ اللغوي وحده لا يَنْهض بالدور، والعالِم الذي يَحْمل المادةَ العلميةَ أيضًا لا ينجح دون لغة ومن ثم فإنّنا نحتاج إلى تكوين طائفة العلماء المعرِّبين، أو الوصول إلى حدٍّ عالٍ من التعاون بين اللغوي والعالم.

• سائر الأمم تدرِّس العلمَ بلغاتها، في اليابان وكوريا وروسيا وغيرها. بل إنّ لغة العدو، اللغةَ العبريةَ، تُسْتخدم لغةً للعلم في جامعات الكيان الصهيوني، مع أنّ هذه اللغة كانت إلى زمن قريب لغةً ميتةً فقيرة وتمّ إحياؤها في العقود الخمسة السابقة. ومن المؤسف أنّنا محتاجون إلى هذه المقارنات لإقناع مقاومي التعريب بأنّ المشكلة ليست في اللغة العربية بل في الخيارات الحضارية لأمّتنا في هذا العالم المتغيِّر

• ينبغي الإفادةُ من أدوات العولمة نفسها، وخصوصًا شبكة الإنترنت فما زالت المواقعُ المهتمةُ بالتعريب نادرة. ومن المواقع التي يُمْكن إضافتُها: موقع شبكة تعريب العلوم الصحية (أحسن) ـ وهو موقعٌ جيدُ التصميم والمداخل، لكنّه ما زال فارغًا من ناحية حجم المعلومات ربما بسبب حداثة الشبكة.

وختامًا: فإنّ الأمل كبير بأن تُؤخذ قضيةُ التعريب بوصفها خيارًا سياديّاً يمثِّل في المستقبل القريب نقطةَ ضوءٍ تَدْفع شيئًا من العتمة التي تعيشها الأمةُ العربيةُ بأسرها

الأردن

١ ـ أيمن هيكل، «تعريب الطبّ في سوريا هل فشلت التجربة؟» www.damascus-online.org